AlHakam AlRu'ini's Questions to Qatada in Interpreting Qur'an: Collection and Study

Dr. Ahmed bin Faris AlSaloom
Associate Professor, Faculty of Arts, King Faisal University

Abstract

This research deals with the questions asked by AlRoyani to Qatada bin Da'aama in Qur'an interpretation. It also compares these with Qatada's other sayings narrated in the books of Qur'an interpretation. The search reveals various readings related to Qatada, because of his vast knowledge and his diverse mentors.

مجلة القلم
(علميّة – دوريّة – محكّمة)
الرقم الدولي
(ISSN 2410-5228)
تصدر عن جامعة القلم
للعلوم الإنسانية والتطبيقية
مدينة إب
الجمهورية اليمنية

www.alkalm.net

مسائل «الحكم الرُّعيني» «لقَتَادة» في التفسير

جمعًا ودراسة

إعداد: د.أحمد بن فارس السلوم

أستاذ مشارك في كلية الآداب – جامعة الملك فيصل.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث المسائل التي حملها الحكم الرعيني إلى قتادة بن دعامة ليسأله عنها في التفسير، ويقارنها بأقوال قتادة الأخرى التي رويت عنه في كتب التفسير بالمأثور، ويترجم البحث للحكم الرعيني، ثم يتناول الأسئلة بالدراسة والتحليل، وأظهر البحث تنوع القراءات المنسوبة إلى قتادة، وذلك لسعة علمه وكثرة مشايخه، مع براءته مما نسب إليه من القول بالقدر.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن قتادة بن دعامة السدوسي من أئمة المفسرين بالبصرة، ولشهرته بالتفسير كان الناس يرحلون إليه ليسألوه عما يُشكل عليهم، من ذلك أن الأمير خالدا القسري أشكل عليه تفسير بعض الآيات فكتبها وأرسل بها إلى قتادة مع الحكم بن عمر الرعيني، الذي روى هذه المسائل عن قتادة، وهذا بحث بعنوان: «مسائل الحكم الرعيني لقَتادة في التفسير جمعًا ودراسة» جمعت فيه هذه السؤالات من مصادر شتى، ثم درستها دراسة وافية.

يهدف هذا البحث: إلى جمع سؤالات الحكم الرعيني لقتادة، ودراستها، واستخراج الفوائد التفسيرية منه، وبيان أهمية طريقة «السؤال والجواب» في التفسير عند السلف وروايتها، ولعل من أشهرها سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنه[1]، مما جعل كثيرا من المصنفين في التفسير يسلك هذا المنهج الذي يفرض فيه السؤال ثم يجيب عليه.

حدود البحث:

السؤالات التي وجهها أمير العراق خالد بن عبدالله القسري لقتادة بن دعامة، وحملها ورواها الحكم الرعيني، ومقارنتها بأقوال قتادة الأخرى وغيره من المفسرين.

أهمية البحث:

-أنَّ الأسئلة وجهت إلى قتادة في العقد الأخير من حياته، أي في مدة نضوجه العلمي، واستقرار رأيه في التفسير وغيره من العلوم.

-تنوع هذه الأسئلة على قلتها، ففيها شيء في القراءة وشيء في التفسير.

-أن في هذه الأسئلة براءة قتادة مما نسب إليه من القول بالقدر.

-أنه لم يسبق أن أفرد بحث في جمع ودراسة سؤالات الحكم الرعيني لقتادة.

-ما في هذه السؤالات من إضافات لم تذكر في بعض كتب التفسير بالمأثور الجامعة كتفسير ابن جرير وتفسير ابن أبي حاتم.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث استقرأت هذه السؤالات من عدة مصادر مطبوعة ومخطوطة، ثم درست هذه الروايات دراسة تحليلية نقدية.

الدراسات السابقة:

لم أجد بعد البحث عبر محركات البحث وقواعد البيانات دراسة في هذا الموضوع، ولم يذكر العلماء المتقدمون هذه السؤالات، ولذا فإن هذا البحث جديد في مضمونه.

خطة البحث:

وقد جاءت خطة البحث في أربعة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: التعريف براوي السؤالات.

المبحث الثاني: ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي.

المبحث الثالث: القيمة العلمية لمسائل الحكم.

المبحث الرابع: المسائل التفسيرية.

وقد التزمت في هذا البحث أن أذكر الرواية، ثم أحررها، ثم أدرسها.

وأتبعت ذلك الخاتمة وفيها أهم النتائج، ثم المصادر.

المبحث الأول: التعريف براوي السؤالات.

راوي السؤالات هو الحكم بن عمر الرُّعيني، حيث حمله أمير العراق خالد بن عبدالله القسري المسائل مع رجل آخر، وأمره بالتوجه إلى قتادة.

اسمه: اتفق العلماء أن اسمه الحكم، واختلفوا في اسم أبيه، فقيل إنه عَمرو، وقيل: عُمر[٢].

والأول هو قول النسائي وابن شاهين غيره[٣]، والثاني هو قول ابن أبي حاتم رواه عن أبيه[٤].

ورجحه ابن عساكر[٥]. وهو الصحيح، إذ هكذا سماه تلميذه خالد بن مرداس في جزئه، حيث قال: «حدثنا الحكم بن عمر الرعيني، وكنيته أبو سليمان من أهل الشام»[٦]، ثم كرر اسمه هكذا في عدة مواضع.

والرُّعَيني: بضم الراء وفتح العين، نسبة إلى ذي رُعين، من اليمن، وكان من الأقيال[٧].

وكانت للحكم كنيتان: الأولى أبو سليمان، والثانية: أبو عيسى، والأشهر هي الكنية الأولى[٨].

نشأته: نشأ الحكم في حمص، فهو حمصي الأصل، إلا إن كونه من ذي رُعين فهذا يعني أنه من أمداد اليمن الذي جاؤوا للجهاد واستقروا في بلاد الشام.

وقيل في أصله: إنه دمشقي[٩]، فقد ذكره خليفة في الطبقة السادسة من أهل الشامات[١٠]، وقال: «إنه دمشقي»[١١].

ولد الحكم في حدود سنة ٨٠ هـ لأنَّه كان في خلافة عمر بن عبدالعزيز ابن عشرين سنة، جاء عنه أنه قال: «شهدُت عمر بن عبد العزيز في زمانه وأنا ابن عشرين سنة، وقد هلك عمر بن عبدالعزيز منذ اثنتين وسبعين سنة»[١٢]. فهذا يعني أن عمره لما قال هذه الكلمة كان ٩٢ سنة، مما يجعله من المعمرين[١٣].

ويظهر من سيرته أنه طلب العلم في بلاد الشام، ولا سيما دمشق، ثم ارتحل إلى كثير من أمصار المسلمين الكبرى، فدخل حلب، قال ابن العديم : «وكان في صحابة عمر بن عبد العزيز بدابق وبخناصرة وبالناعورة من أرض حلب»[١٤].

ودخل بغداد، إلا أنَّ الخطيب البغدادي فاته أن يذكره في تاريخ بغداد، فاستدرك عليه ابن عساكر، ويظهر من عبارة ابن عساكر أنه توفي في بغداد[١٥].

شيوخه: أخذ الحكم العلم عن جلة من شيوخ زمانه، فممن وقفت عليه من شيوخه:

الصحابي الجليل عبدالله بن بسر المازني الحمصي (ت:٨٨)[١٦]، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت:١١٧)، وعمر بن عبدالعزيز الأموي (ت:١٠١)، ومسلمة بن عبدالملك الأموي (ت:١٢٠)، وإسماعيل بن معدي كرب الزبيدي[١٧].

الرواة عنه: روى عن الحكم جماعة، منهم: خالد بن مرداس السراج (ت:٢٣١)، ومنصور بن أبي مزاحم البغدادي ت:(٢٣٥)، ويَسَرة بن صفوان اللخمي الدمشقي (ت:٢١٥)، ويحيى بن صالح الوحاظي الدمشقي (ت:٢٢٢)، وشبابة بن سوار المدائني (ت:٢٠٤)، ويحيى بن سعيد العطار الحمصي [١٨]، وخلف بن عمرو الأموي [١٩].

وفاته: لم يذكروا وفاته بالتحديد، إلا أنه يمكنني أن أقول إنه توفي بعد سنة ١٧٣ ، استنادًا إلى النص الذي نقلته عنه آنفا، وقد ذكره الذهبي في الطبقة التي وفاتهم بين ١٧١ و١٨٠[٢٠].

مكانته في علم الرواية: جلُّ النقاد على أنَّ الحكم بن عمر الرعيني ضعيف الحديث، فقال يحيى بن معين: «ليس بشيء لا يكتب حديثه»، وقال مرة أخرى: «ضعيف»، وقال النَّسَائي: «ضعيف»، وقال يعقوب بن سفيان: «شامي ضعيف»[٢١].

وقد نقل ابن عدي بعض كلام النقاد في تضعيفه ثم قال: «والحكم بْن عَمْرو هَذَا قليل الرواية عَمَّن يروي عَنْهُ»[٢٢]، ولعل ذي ذلك إشارة إلى أن قليل الرواية لا يتهيأ الحكم عليه بقوة أو ضعف، لأنهم يعرفون الثقة من الضعف بمقارنة المرويات بعضها ببعض.

وقال ابن أبي حاتم: «قدم بغداد رأى عبد الله بن بسر، وعمر بن عبد العزيز، وقتادة، روى عنه: منصور بن أبي مزاحم، وخالد بن مرداس، ويَسرة بن صفوان، ويحيى بن صالح الوحاظي، وقال: كتبت عنه ببغداد، سمعت أبي يقول ذلك، سئل أبي عنه، فقال: ضعيف الحديث»[٢٣].

ومع هذه الأقوال نجد أنَّ الذهبي قال: «لم يُترك»[٢٤].

ربما لأن ضعفه كان عن سوء حفظ، وليس عن اتهام، و لم يخلو الحكم من توثيق، فقد وثقه ابن حبان[٢٥]، وابن قطلوبغا[٢٦].

المبحث الثاني: ترجمة قتادة

قتادة بن دعامة علم من أعلام المسلمين، وهو مشهور بالتفسير والحديث والقراءة، وهذا تعريف مختصر به.

اسمه: هو قتادة بن دِعامة السَّدُوسي، قال الذهبي: «حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه...، وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ»[٢٧].

وثناء العلماء عليه وعلى تقدمه في العلوم ولا سيما علم التفسير كثير، فقد كان واسع العلم بالقرآن، جاء عنه أنه قال: «ما في القرآن آية إلا قد سمعت فيها شيئا»(٢٨).

«قال أحمد بن حنبل: كان قتادة عالما بالتفسير، وباختلاف العلماء ... ، ثم وصفه بالفقه والحفظ، وأطنب في ذكره، وقال: قلما تجد من يتقدمه.

وعن سفيان الثوري، قال: وهل كان في الدنيا مثل قتادة.

وقال الإمام أحمد: كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئا إلا حفظه، قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة، فحفظها»(٢٩).

جاء عنه أنه قال: «أقمت مع سَعِيد بْن المُسَيَّب ثمانية أيام أسأله، قال: ما تسألني إلا عَنْ شيء يختلف فيه؟ قال: قلت: نعم. إنما أسألك عما يختلف فيه»(٣٠).

وَقَال عبد الرزاق: «سمعت معمرا يحدث عَنْ قتادة أنه أقام عند سَعِيد بْن المُسَيَّب ثمانية أيام، فَقَالَ له في اليوم الثالث: ارتحل يا أعمى فقد أنزفتني(٣١).

وَقَال سلام بْن مسكين: حَدَّثَنِي عَمْرو بْن عَبد اللَّهِ، قال: «لما قدم قتادة على سَعِيد بْن المُسَيَّب، فجعل يسائله أياما وأكثر، فَقَالَ له سَعِيد: أكل ما سألتني عنه تحفظه؟ قال: نعم. سألتك عنه كذا فقلت فيه كذا وسألتك عَنْ كذا فقلت فيه كذا، وَقَال فيه الحسن كذا حتى رد عليه حديثا كثيرا. قال: يقول سَعِيد: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك»(٣٢).

وقد اختلف في وفاته، فقيل سنة ١١٧، وقيل سنة ١١٨، وعمره ٥٥ سنة أو ٥٦ سنة(٣٣).

المبحث الثالث: القيمة العلمية لمسائل الحَكم

ارتحل الحكم الرعيني إلى العراق، وهناك حدث بما عنده وروى أخبارا كثيرة عن عمر بن عبدالعزيز، فروى عنه أهل بغداد ذلك، فيظهر أن الحكم اتصل بالأمير آنذاك وهو خالد القسري، أو أن خالدا عرف له مكانته وصحبتَه لعمر بن عبدالعزيز، فقربه خالد ثم عرضت لخالد بعض الآيات التي أشكلت عليه، فأرسل بها الحكم إلى قتادة يسأله عنها.

وخالد هذا: هو أبو الهيثم خالد بن عبدالله بن يزيد القسري الدمشقي، ولي العراقين لهشام، وكان قد ولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبدالملك ثم لسليمان(٣٤).

وقد استمرت ولايته على العراق من سنة ١٠٦ إلى سنة ١٢٠، ثم عاد بعد ذلك إلى دمشق فجرت له أمور إلى أن قتله الوليد سنة ١٢٦[٣٥].

فإذا كان قتادة قد توفي سنة مائة وبضع عشرة، وكان إرسال الحكم من قبل خالد وهو والي العراق، فإننا نستنتج من هذا أمرين:

الأول: أنَّ الحكم جاء بالأسئلة إلى قتادة وقتادة شيخ كبير، في العقد الأخير من عمره، وهذا يعطي قيمة للأسئلة، فإنها من آخر ما استقر عليه رأي قتادة.

الثاني: أن الحكم حين حمل الأسئلة كان قد تجاوز السادسة والعشرين قطعا، باعتبار أنه ولد سنة ٨٠، والإنسان في هذا السن يكون فيه من النباهة واليقظة والحرص على العلم أكثر من أي سن آخر.

هذا وقد ذكر الحكم أنَّ خالدًا أرسله مع صاحب له، و لم أقف على اسم هذا الصاحب بعد البحث والتتبع.

وقد أخبر الحكم بعدد الأسئلة وأنها ثمانية عشر سؤالاً، ذكر ذلك الحكم نفسه، فقال: «بعثني خالد بن عبد الله القسري وصاحب لي إلى قتادة بن دعامة الأعمى ليسأله عن ثمانية عشر مسألة من القرآن»[٣٦].

وتروى هذه المسائل بإسنادين عن الحكم:

الأول: من طريق أبي سهل بن زياد القطان[٣٧]، نا عبدالله بن روح[٣٨]، نا شبابة بن سوار[٣٩]، عن الحكم.

وهذه طريق البيهقي، ومن طريقه ابن عساكر، وهو إسناد حسن إلى الحكم الرعيني صاحب السؤالات.

الثاني: من طريق أبي القاسم البغوي عبدالله بن محمد[٤٠] نا أبو الهيثم خالد بن مرداس[٤١]، عن الحكم، ومن هذه الطريق رواها ابن عساكر[٤٢]، وابن العديم[٤٣].

وهذا الإسناد صحيح إلى الحكم الرعيني، ولأبي القاسم البغوي جزء حديثي من روايته عن خالد بن مرداس خاصة، اسمه: حديث خالد بن مرداس السراج.

وقد نظرت في المخطوط فوجدت فيها روايات كثيرة عن خالد عن الحكم، إلا أن جلها فيما يخص أخبار عمر بن عبدالعزيز، ثم ختم الجزء برواية جزء من هذه السؤالات[٤٤].

إلا أنه يظهر من قول النقاد أن الخلاصة في شأن الحكم: أنه ضعيف الحديث، ولم يترك، ولا يعني هذا أنه لا قيمة لسُؤالاته التفسيرية، وذلك لأمور:

الأول: أن الحكم ذكر قصة خروجه إلى قتادة، وما احتف بها من ملابسات، وأنَّ الأمير خالدا القسري هو من أمره بالخروج إلى قتادة وسؤاله عن بعض الآيات التي يُظنَّ أنها أشكلت على خالد، ولذلك خصها بالسؤال، فمثل هذه القصة والرسالة التي حمَّله خالد لها يتوقع أن يكون الحكم قد حفظها، وأتقنها، فإن الضعيف قد تعرض له أمور تقويه في بعض ما يروي، فإن هذه المسائل أكثر من مجرد رواية خبر أو حديث.

الثاني: أن العلماء نقلوا في كتبهم تفاسير الضعفاء، مثل نسخة العوفي عن ابن عباس، ونسخة جويبر عن الضحاك، ونسخة الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، إذ قد يستفاد من هذه النسخ أشياء وإن لم يصح إسنادها(٤٥).

فأقل ما يقال في سؤالات الحكم: إنها أحسن إسنادًا من نسخة العوفي، فالحكم لم يترك كما قال الذهبي.

الثالث: أن هذه المسائل احتوت على أقوال لقتادة لم ترو عنه في غيرها، وليس هذا الأمر بغريب، فإن العلم يستثار بالسؤال عنه، ولذا كان من منهج بعض الصحابة في التفسير أن يقول: سلوني سلوني، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول: « سلوني سلوني، وسلوني عن كتاب اللَّه تعالى، فو اللَّه ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار أم في سهل أم في جبل»(٤٦).

الرابع: أن في هذه المسائل أجوبة من قتادة تبرئه مما نسب إليه من القول في القدر، ولو لم يكن فيها إلا هذه لكفاها قيمة علمية، وسيأتي هذه في السؤال الخامس.

المبحث الرابع: المسائل التفسيرية

مجموع المسائل التي حملها الحكم إلى قتادة: ثماني عشرة مسألة، إلا أن الذي وقفت عليه منها هو ست مسائل، وهي على النحو التالي:

السؤال الأول: في قوله تعالى (فاقتلوا أنفسكم) [البقرة:٥٤].

أ-الرواية:

قال النيسابوري: وحكى الحكم الرّعيني أن خالدا القسري أرسله إلى قتادة يسأله عن حروف منها (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)، فقال: إنما هو «فاقتالوا» من الاستقالة(٤٧).

ورواه ابن عساكر بلفظ: (فاقتلوا)[٤٨]. وهو في جزء خالد بن مرداس بدون نقط، ولفظه: «وسألناه عن (اقتلوا أنفسكم وتوبوا إلى بارئِكم)، فقال: اقتلوا[٤٩] أنفسكم وتوبوا إلى باريْكم»[٥٠] وقيَّد بارئكم الأولى بكسر الياء، والثانية بإسكانها.

ب–تحرير الرواية:

في ذكر قراءة قتادة في هذا الحرف اختلاف بين المصادر، حتى في نسخ تفسير بيان الحق النيسابوري وقع اختلاف كذلك، وهو على وجهين:

الأول: (فاقتلوا) وهكذا ثبت في إحدى طبعات تفسير بيان الحق النيسابوري، وقال قتادة: إنما هو فاقتلوا من الاستقالة، وأشار المحقق أن في بعض مخطوطاته: (الاقتيال) وليس الاستقالة[٥١].

وفي تاريخ دمشق (فاقتلوا) ومثله في مختصره[٥٢].

وهذا النص مصحف، الصواب: (فأقيلوا أنفسكم)، لسببين:

١–أنه هكذا ثبت في الأصل المخطوط لحديث خالد بن مرداس.

٢–أنه لو كان فاقتلوا لما اعتنى الرواة بحفظها لموافقتها القراءة المشهورة، وإنما يعتنون برواية ما خرج عن المعروف.

٣–أن الثعلبي ضبطها بالحروف، فقال: «وقرأ قتادة: (فأقيلوا أنفسكم) من الإقالة أي استقيلوا العثرة بالتوبة»[٥٣]، ويؤيده تتمة كلام بيان الحق، وأنها من الاقتيال أو الاستقالة على اختلاف النسخ.

الثاني: (فاقتالوا)، وهكذا ثبت في الطبعة الثانية من تفسير النيسابوري[٥٤].

وذكره ابن عطية وقال: وقرأ قتادة: «فاقتالوا أنفسكم» : وقال: «هي من الاستقالة»[٥٥].

وهذا صحيح فقد رواه ابن مجاهد عن عبدالله بن محمد قال: حدثنا خالد بن مرداس قال: حدثنا الحكم بن عمر الرُّعَيْني قال: «أرسلني خالد بن عبد الله القسري إلى قتادة أسأله عن حروف من القرآن؛ منها قوله: (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) ، فقال قتادة: (فاقتالوا أنفسكم) من الاستقالة»[٥٦].

وقد أشار أبو حيان إلى هذا الخلاف بين المصادر في نقل قراءة قتادة فقال: وقرأ قتادة فيما نقل المهدوي وابن عطية والتبريزي وغيرهم: فأقيلوا أنفسكم، وقال الثعلبي: قرأ قتادة: فاقتالوا أنفسكم»[٥٧]، فذكر الروايتين، وقد سبق نقل النص عن الثعلبي إلا أن نسخة تفسير الثعلبي كثيرة التصحيف، فلا يبعد أن يكون الصحيح ما ذكره أبو حيان عنه.

وهكذا ذكر ابن جني القراءة عن قتادة(٥٨).

ونخلص بعد ذلك إلى ما يلي:

١-أن ما وقع في بعض المصادر من أن قراءة قتادة (فاقتلوا) موافقة لقراءة الجمهور إنما هو تصحيف.

٢-أن بعض المصادر ذكرت القراءة (فأقيلوا) بهمزة قطع وياء، وأن بعضها ذكرت القراءة (فاقتالوا).

٣-أن المصادر كلها لم تذكر مستندها في نقل قراءة قتادة هذه، إلا ما كان من ابن عساكر حيث رواها بالإسناد من طريق الحكم.

ج-الدراسة: في هذا الحرف قراءتان:

الأولى: القراءة المشهورة:

(فاقتلوا أنفسكم)، وهي القراءة المتواترة، والمعنى على هذه القراءة أنَّ الله عز وجل لما ظلموا أنفسهم باتخاذهم العجل إلاها أمرهم أن يقتلوا أنفسهم توبة منهم لله عز وجل.

قال البغوي: « وإذ قال موسى لقومه: الذين عبدوا العجل، يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم: ضررتم بأنفسكم، باتخاذكم العجل: إلها، قالوا: فأي شيء نصنع؟ قال: فتوبوا: فارجعوا إلى بارئكم: خالقكم، قالوا: كيف نتوب؟ قال: فاقتلوا أنفسكم، يعني: ليقتل البريء منكم المجرم، ذلكم، أي: القتل، خير لكم عند بارئكم، فلما أمرهم موسى بالقتل، قالوا: نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية محتبين، وقيل لهم: من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته، وأصلت القوم عليهم الخناجر وكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره، فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى، قالوا: يا موسى كيف نفعل؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلونهم إلى المساء، فلما كثر القتل دعا موسى وهرون عليهما السلام وبكيا وتضرعا وقالا: يا رب هلكت بنو إسرائيل، البقية البقية، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل، فكشف عن ألوف من القتلى، يروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول منهم الجنة؟ فكان من قتل منهم شهيدا، ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه، فذلك قوله تعالى: فتاب عليكم، أي: ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم، إنه هو التواب: القابل للتوبة منكم الرحيم بكم»(٥٩).

وهذا المعنى أطبق عليه المفسرون(٦٠). ولم يخالف فيه إلا الماتريدي، فإنه قدم المعنى المجازي على المعنى الحقيقي، وقال: «ويصرف الأَمر بالقتل، إلى إجهاد أَنفسهم بالعبادة لله، والطاعة له، واحتمال الشدائد والمشقة؛ لتفريطهم في عصيان ربهم، باتخاذهم العجل. إلهًا، وبعبادتهم إياه دون اللَّه»(٦١).

ويكفي في رد هذا القول: مخالفته للتفسير بالمأثور، وتقديم المجاز البعيد على الحقيقة بدون دليل، والحق أن هذا التأويل البعيد هو تأويل بعض المعتزلة(٦٢).

وقد نُقل تعليل هذا الحكم عن قتادة، فإنه قال: «جعل عقوبة عبدة العجل القتل لأَنّهم ارتدّوا، والكفر يبيح الدّم»(٦٣).

القراءة الثانية: القراءة المنسوبة لقتادة:

وهي على وجهين، فالرواية التي ذكرت قراءته على أنها (فأقيلوا) عللها الثعلبي بأنها من الإقالة، أي استقيلوا العثرة بالتوبة(٦٤).

قال أبو حيان: «أمرٌ من الإقالة، وكأن المعنى: أن أنفسكم قد تورطت في عذاب الله بهذا الفعل العظيم الذي تعاطيتموه من عبادة العجل، وقد هلكت فأقيلوها بالتوبة والتزام الطاعة، وأزيلوا آثار تلك المعاصي بإظهار الطاعات»(٦٥).

وأما الرواية الثانية (فاقتالوا) ونسب لقتادة بعدها أنه قال: «من الاستقالة»(٦٦)، فهي افتعل بمعنى استفعل، أي فاستقيلوها، لكن قالوا: إن المشهور استقال لا اقتال، وعدوا هذا الحرف شذوذا.

قال ابن جني: «اقتال هذه افتعل، ويصلح(٦٧) أن يكون عينها واوًا كاقتاد، وأن يكون ياء كاقتاس، وقول قتادة: إنها من الاستقالة، يقتضي أن يكون عينها ياء...، قال: ولا يعرف في اللغة افتعلت من هذا اللفظ في هذا المعنى ولا غيره؛ وإنما هو استفعلت استقلت(٦٨)، وقد يجوز أن يكون قتادة عرف هذا الحرف على هذا المثال، وعلى أنه لو كان بمعنى استقلت لوجب أن يُستعمل باللام، فيقال: استقلت لنفسي أو على نفسي، كما يقال: استعطفت فلانًا لنفسي وعلى نفسي، وليس معناه أن يسأل نفسه أن يُقِيلَه؛ وإنما يريد: أن يسأل ربه عز وجل أن يعفو عن نفسه. وكان له حري -لو كان على ذلك- أن يقال: فاقتالوا لأنفسكم؛ أي: استقيلوا لها، واستصفحوا عنها.

فأما اقتال متعديًا، فإنما هو في معنى ما يختره الإنسان لنفسه من خير أو شر ويقترحه، وهو من القول...، وليس معنى هذا معنى الآية، بل هو بضده؛ لأنه بمعنى استَلِينُوا واستعطفوا. هذا ما يُحْضِرُه

طريق اللغة، ومذهب التصريف والصنعة، إلا أن قتادة ينبغي أن يحسن الظن به، فيقال: إنه لم يورد ذلك إلا بحجة عنده فيه من رواية أو دراية»(٦٩).

والخلاصة: أن هذه القراءة عن قتادة فيها نظر، وذلك لأمور:

الأول: تفرد الحكم بروايتها عنه. ومن نقلها من المفسرين فإنما نقلها بدون إسناد، كالثعلبي وابن عطية والقرطبي(٧٠).

الثاني: أن الرواية عن قتادة من طريق الثقات بخلاف هذه القراءة.

فقد روى الثقة الثبت معمر بن راشد عن قتادة والزهري في قوله: (فاقتلوا أنفسكم) ، قال: قاموا صفين يقتل بعضهم بعضا، حتى قيل لهم كُفوا. قال قتادة: كانت شهادة للمقتول وتوبة للحي(٧١).

وروى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: «أمر القوم بشديد من الأمر، فقاموا يتناحرون بالشفار، فقتل بعضهم بعضا حتى بلغ الله فيهم نقمته وسقطت الشفار من أيديهم، فأمسك عنهم القتل. فجعله لحيهم توبة، وللمقتول شهادة»(٧٢).

ومن ثم قال بيان الحق النيسابوري: «والرواية المعروفة عن قتادة: أنهم غشيتهم ظلمة فقاموا يتناحرون بالشفار، فلما بلغ الله نقمته منهم، انجلت الظلمة وسقطت الشفار من أيديهم، فكان ذلك للحي توبة وللمقتول شهادة»(٧٣).

الثالث: أن هذه الكلمة (اقتالوا) شاذة في اللغة، وقتادة كان إماما فصيحا سبق اللحن، حتى إنه كان يُتعلم منه العربية.

قال الذهبي: «كان قتادة أيضا رأسا في العربية، والغريب، وأيام العرب، وأنسابها، حتى قال فيه أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة من أنسب الناس، ونقل القفطي في تاريخه: أن الرجلين من بني أمية كانا يختلفان في البيت من الشعر، فيبردان بريدا إلى العراق، يسألان قتادة عنه»(٧٤).

د–القراءة في (بارئكم):

امتاز الأصل المخطوط أنه ضبط بارئكم بخلاف المصادر المطبوعة، فإنها لم تضبط هذه الكلمة، ففي سؤال الحكم: (بارِئكم) بكسر الهمزة، وفي جواب قتادة: (باريْكم) لكنه كتبها بالياء، كعادة النساخ في كتابة الهمزة على نبرة ياءً.

وقد وقع في هذا الحرف خلاف بين القراء، فقرأ أبو عمرو بخلف عن الدوري بإسكان الهمزة من بارئكم، والوجه الثاني للدوري هو الاختلاس، وهو الإتيان بثلثي الحركة(٧٥). وقد أُخذت هذه القراءة

على أبي عمرو، حتى إن المبرد زعم أن قراءة أبي عمرو لحن، ونقل عن سيبويه أنه قال: «إن الراوي لم يضبط عن أبي عمرو لأنه اختلس الحركة فظن أنه سكن»(٧٦).

وقد أطال الداني في تصحيح قراءة أبي عمرو، والرد على من زعم أنها لحن من النحاة، أو أنّ أبا عمرو تفرد بها(٧٧)، إلا أن هذه السؤالات تضيف دليلاً آخر على صحة هذه القراءة.

وهو: أن التابعي الكبير قتادة بن دعامة يقرأ بها، بل اختارها على القراءة الأخرى المشهورة، مما يدل على أن حرف أهل البصرة هو الإسكان، فدل هذا على أن أبا عمرو لم يتفرد بذلك، بل هو موافق لحروف عامة أهل البصرة(٧٨).

السؤال الثاني: (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب)[يوسف:١٢]

١-الرواية:

قال السيوطي: وَأخرج أَبُو الشَّيْخ عَن الحكم بن عمر الرعيني قَالَ: بَعَثَنِي خَالِد الْقَسرِي إِلَى قَتَادَة أسأله عَن قَوْله (نرتع وَنَلْعَب) فَقَالَ قَتَادَة: لَا، نرتعِ وَنَلْعَب بِكَسْر الْعين، ثم قال: الناس لا يرتعون إنما ترتع الغنم(٧٩). و لم يرو خالد بن مرداس هذا السؤال في جزئه.

ب-تحقيق الرواية:

هكذا نقل السيوطي الرواية، وبحسب هذه الرواية: فإن قراءة قتادة هي (نرتعِ) أي على معنى أنهم هم يرعون دوابهم، ولذا قال: الناس لا يرتعون إنما ترتع الغنم.

وثمت رواية أخرى بضبط آخر عن قتادة، وهي أنه قرأ (نُرْتع ويَلعَبْ) نرتع بضم النون وكسر التاء ويلعب بالياء، أي: نُرتع نحن دوابنا ومواشينا ويلعب هو، قال في شرح القاموس: «وهي قراءة مجاهد وقتادة »(٨٠). وهذه القراءة وإن كانت تخالف ما نقل الحكم إلا أنها توافقه في التوجيه، فالمعنى على كلتا القراءتين: أن الرتع للدواب لا للبشر، وهذا هو توجيه قتادة.

ج-الدراسة: اختلف القراء في قراءة هذه الآية:

وقد بلغت القراءات المنقولة بمتواترها وشاذها أربع عشرة قراءة، استقصاها السمين الحلبي(٨١)، والمقروء منها ما يلي:

١-قرأ ابن كثير (نرتعِ ونلعب) بكسر العين وبالنون، وأثبت قنبل الياء فيهما في الحالين على خلاف(٨٢).

٢-وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما (نرتعْ ونلعبْ) مع الإسكان.

٣-وقرأ أبو جعفر ونافع (يرتعِ ويلعب) لكن بكسر العين.

٤-وقرأ الباقون -وهم: يعقوب وعاصم وحمزة والكسائي وخلف- (يرتعْ ويلعبْ) بالإسكان(٨٣).

والرتع في لسان العرب: الأكل والشرب، ولا يكون إلا في خصب وسعة، وأصل الرتع للبهائم، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير(٨٤).

يقال: رَاتِعٌ ورِتَاعٌ في البهائم، ورَاتِعُونَ في الإنسان(٨٥).

فالقراءة المنقولة عن قتادة من طريق الحكم توافق قراءة ابن كثير، فهي متواترة، ووجَّهَها قتادة على أن الرتع للبهائم وليس للبشر(٨٦).

وقد جاءت الرواية عن قتادة من طرق صحيحة في تفسير هذه الآية أنه قال: ينشط ويلهو، وفي لفظ: يسعى ويلهو(٨٧). واستدل ابن جرير بتفسير قتادة هذا على أن القراءة الراجحة: (يرتعْ)، وقال: «لأن القوم إنما سألوا أباهم إرسال يوسف معهم، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك، عما ليوسف في إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هنالك، لا بالخبر عن أنفسهم»(٨٨).

فتفسير قتادة هذا يدل على أن قراءته: (يرتعْ ويلعب) لأن التفسير يأتي موافقا للقراءة(٨٩).

أما القراءة الثانية: (نُرتع) فقد نسبت لقتادة كذلك من غير أن أقف لها على إسناد.

قال أبو حيان: «وقرأ مجاهد، وقتادة، وابن محيصن: بنون مضمومة من ارتعنا ونلعب بالنون، وكذلك أبو رجاء، إلا أنه بالياء فيهما يرتع ويلعب، والقراءتان على حذف المفعول أي: يرتع المواشي أو غيرها»(٩٠).

وهي على معنى ما تأول قتادة كذلك، ولم يذكر ابن جني قراءة قتادة(٩١).

السؤال الثالث: (ولا تيأسوا من روح الله)[يوسف:٨٧]

أ-الرواية:

قال الحكم: وسألناه عن قوله (ولا تيأسوا من روح الله) قال لا ولكن (من رُوح الله)، رواه ابن عساكر(٩٢).

ب-تحرير الرواية:

لم يبين ابن عساكر ضبط الراء من روح في الموضعين، إلا أن القراءة المشهور هي بفتح الراء: رَوح، بينما القراءة المنسوبة لقتادة هي بضم الراء: رُوح.

وقد وقع في الأصل المخطوط لحديث خالد بن مرداس ضبط الموضع الأول: رُوح بالضم، وضبط الموضع الثاني -الذي هو جواب قتادة- رَوح بالفتح(٩٣).

والمشهور أن قراءة قتادة والحسن البصري وعمر بن عبدالعزيز هي بالضم لا بالفتح(٩٤)، هكذا رواها الهذلي في كامله(٩٥).

ج-الدراسة: في هذا الحرف قراءتان:

القراءة الأولى: وهي القراءة المتواترة، بفتح الراء، وقد جاء التفسير عن قتادة وفقها، وقال: «معنى (من روح الله) أي من رحمة الله»(٩٦).

فالقراءة على هذا التفسير لا تكون إلاَّ بفتح الراء، مما يعني أن قتادة كان يقرأ كذلك، وهو ما يوافق رواية الحكم بحسب ضبط مخطوط حديث خالد بن مرداس.

وأما القراءة الثانية: وهي الضم بالراء، فهي قراءة شاذة، رواها أبان بن يزيد العطار عن قتادة، فالإسناد صحيح إلى قتادة، مما يعني أنه كان يقرأ هكذا وهكذا.

وقد تُؤول معنى هذا القراءة على وجه يأتلف مع القراءة المتواترة، فذكر العلماء لهذه القراءة وجهين:

الأول: أن المعنى الروح الذي من الله، ويعنى به روح ابن آدم، وإضافته إلى الله إضافة تشريف، كقوله: بيت الله وناقة الله(٩٧).

والمعنى: لا تيأسوا من حي معه روح الله الذي وهبه، فإن من بقي روحه فيرجى(٩٨).

الثاني: أن المعنى: من رحمته التي يحيا بها العباد(٩٩).

وهذا المعنى قد ذكره قتادة وروي عنه في تفسير الآية، وعليه فلا يدل تفسيره على القراءة الأولى فحسب، بل على القراءتين.

وهنا نحن أمام احتمالين:

إما أن يكون ضبط النسخة المخطوطة وقع فيه قلب على الناس، وهذا بعيد، لأن النسخة في غاية الجودة، وقد قرئت على أعلام، واعتناء الناسخ بتشكيل هذا الموضع دون غيره دليل على اعتنائه ويقظته، فعلى هذا الاحتمال فإن قتادة قد رجع عن قراءته الأولى إلى ما يوافق قراءة الجمهور.

وإما أن يكون وقع للناسخ قلبٌ، فقلب التشكيل وأخطأ، والله أعلم بالصواب.

وأما نسبة قراءة الضم إلى الحسن البصري، فقد اختلف القراء في ذلك، فالهذلي رواها عنه في كامله كما مر، إلا أن الدمياطي ذكر أنه لا خلاف عن الحسن في هذا الحرف، وقال: –في ذكر الخلاف في ضم الراء وفتحها من كلمة روح– : «وخرج (وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّـهِ) المتفق على الفتح؛ لأن المراد به الفرح والرحمة وليس المراد به الحياة الذاهبة»[١٠٠].

السؤال الرابع: (تغرب في عين حامية)[الكهف:٨٦]

أ–الرواية:

قال الحكم: «وسألناه عن قوله تعالى (وتغرب في عين حامية) قال: لا، (في عين حمئة)».

رواه ابن عساكر[١٠١]. وهو في حديث خالد بن مرداس[١٠٢].

ب–القراءات:

اختلف القراء في قراءة هذه الآية.

١–فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص: (حمئة).

٢–وقرأ الباقون –وهم:ابن عامر وشعبة وعاصم والكسائي وخلف–: (حامية)[١٠٣].

وقراءة قتادة توافق قراءة أهل البصرة، وهكذا رواها عنه الهذلي[١٠٤].

ج–توجيه القراءات:

أما القراءة الأولى– التي قرأ بها قتادة– فالمعنى: أن الشمس تغرب في عين ماء ذات حمأة، وهي الطين المسنون.

وأما القراءة الثانية: يعني أنها تغرب في عين ماء حارة، واختلاف القراء ترتب عليه اختلاف اقوال المفسرين[١٠٥]، فالمروي عن قتادة أنه قال: الحمأة السوداء[١٠٦].

ولا تضاد بين القراءتين، بل خرجت كل قراءة على معنى يمكن أن يجتمع مع القراءة الأخرى، فقال ابن جرير: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين، فيكون القارئ في عين حامية بصفتها التي هي لها، وهي الحرارة، ويكون القارئ في عين حمئة واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين. وقد روي بكلا صيغتيها اللتين إنهما من صفتيها أخبار»[١٠٧].

وقال الزمخشري: «ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين معا»(١٠٨).

السؤال الخامس: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا [الحج:١٧].

أ–الرواية :

قال الحكم بن عمر: «أرسلني خالد بن عبد الله إلى قتادة وهو بالحيرة(١٠٩) أسأله عن مسائل، فكان فيما سألت، قلت: أخبرني عن قول الله: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) [الحج: ١٧] ، هم مشركو العرب؟ قال: لا، ولكنهم الزنادقة المنانية، الذين جعلوا لله شركاء في خلقه، فقالوا: إن الله يخلق الخير، وإن الشيطان يخلق الشر، وليس لله على الشيطان قدرةٌ»(١١٠)

رواه البيهقي(١١١) واللالكائي(١١٢) وابن عساكر(١١٣)، من غير طريق خالد.

ورواه خالد بن مرداس أيضا، ولفظه: «وسألناه عن النصارى واليهود والصابئين والمجوس والذين أشركوا، قال: هم الزنادقة، وأنتم تدعونهم بالشام المنانية»(١١٤).

ب–الدراسة:

هذه الرواية عزيزة عن قتادة، وذلك لأن فيها الرد على من أنكر القدر فأضاف خلق أفعال العباد لهم، لا لخالقهم، فسماهم قتادة: منانية، والمنانية هم الزنادقة(١١٥).

وجه ذلك: أن المجوس يثبتون للخير إلها وللشر إلها، ومن قال من القدرية بأن أفعال العباد ليست مخلوقة، فقد شابه المجوس بإثبات إلهين، ولذا ورد في الحديث: «القدرية مجوس هذه الأمة»(١١٦).

قال المناوي: «لأن إضافة القدرية الخير إلى الله والشر لغيره يشبه إضافة المجوس الكوائن إلى إلهين أحدهما يزدان ومنه الخير والآخر هرمز ومنه الشر لكن يقولون ذلك في الأحداث والأعيان والقدرية يقولون في الأحداث دون الأعيان»(١١٧).

وفي هذا النص إثبات القدر ولذا رواه البيهقي واللالكائي في أبواب القدر.

وقد اتُّهم قتادة بالقدر، فقال الذهبي: «وكان يرى القدر – نسأل الله العفو –، ومع هذا، فما توقف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري

وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زَلَلَـــه، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبـــة من ذلك»[١١٨].

ثم نقل الذهبي عن حنظلة بن أبي سفيان قال: «كنت أرى طاووسا إذا أتاه قتادة، يفر، قال: وكان قتادة يتهم بالقدر»[١١٩]. ثم نقل عن وكيع قال: «كان سعيد بن أبي عروبة، وهشـــام الدســـتوائي، وغيرهما يقولون: قال قتادة: كل شيء بقدر إلا المعاصي. وروى: ضمرة، عن ابن شوذب، قال: مـــا كان قتادة لا يرضى حتى يصيح به صياحا، يعني: القدر»[١٢٠].

و لم ينقل الذهبي هذا النص عن قتادة، مع أنه فيه براءته من تهمة القول بالقدر، وهنا نحـــن أمـــام أمرين:

إما أنَّ قتادة كان بريئًا حقا من القول بالقدر، وأنها كانت مجرد تهمة، وأن من وصفه به بدايةً كان من أقرانه، وكلام الأقران يطوى ولا يروى، ولا سيما أنه جاء عن قتادة في تفسير قوله تعالى (وكـــل صغير وكبير مستطر)[القمر:٥٣] أنه قال: «محفوظ مكتوب»[١٢١]. فهذا فيه إثبات الكتابـــة لكـــل شيء، والكتابة مرتبة من مراتب القدر.

وإما أن يكون قتادة كان يقول بالقدر، ثم تاب منه، فإنَّ هذا الخبر من رواية الحكم عنه يثبت براءته من تهمة القدر.

هذا، وقد جاءت عن قتادة رواية أخرى من طريق صحيح في تفسير هذه الآية، غير رواية الحكم، وهي رواية معمر عنه أنه قال: في قوله: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجـــوس والذين أشركوا) قال: الصابئون: قوم يعبدون الملائكة، ويصلون للقبلة، ويقرءون الزبور. والمجـــوس: يعبدون الشمس والقمر والنيران. والذين أشركوا: يعبدون الأوثان. والأديان ستة: خمسة للشـــيطان، وواحد للرحمن[١٢٢].

ولا تعارض، فإن المفسر قد ترد عنه أكثر من رواية في تفسير الآية، ولاسيما إذا كان بحرا كقتادة.

السؤال السادس: (والأرض وما طحاها)[الشمس:٦].

أ–الرواية:

قال الحكم بن عمر: «بعثني خالد بن عبد الله القسري وصاحب لي إلى قتادة بن دعامة السدوسي ليسأله عن ثمانية عشر مسألة من القرآن، فسألناه عن (الأرض وما طحاها) قال: طحوها، سعتها وهذه من لغة قوم من اليمن».

رواه ابن عساكر(١٢٣)، من طريق خالد بن مرداس(١٢٤).

ب- الدراسة:

هذا السؤال هو أول الأسئلة التي سألها الحكم كما في رواية خالد بن مرداس، وقد بيَّن فيها قتادة مسألتين:

الأولى: أن الطحو بمعنى السعة.

والثانية: أنها لغة يمانية.

أما المسألة الأولى: فقد اختلف المفسرون في معنى الطحو إلى أقوال:

- طحاها أي ما خلق فيها، وهو مروي عن ابن عباس من طريق العوفي عنه(١٢٥).

- طحاها أي دحاها فبسطها يمينًا وشمالاً ومن كل جانب، وهو قول مجاهد وابن زيد(١٢٦) وأبي عبيدة(١٢٧)، ونسبه القرطبي لعامة المفسرين(١٢٨)، قال ابن كثير: «وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة»(١٢٩). فقد وافق قتادة الجمهور في تفسير هذه الآية.

- طحاها أي قسمها، وهو مروي عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة عنه(١٣٠).

أما المسألة الثانية:

فلم أجد مستندا لهذه الرواية، أي: أنها لغة قوم من اليمن، وقد بحثت في كتاب «لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم»، المنسوب لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب «اللغات في القرآن» لأبي أحمد السامري، فلم يذكرا هذا الحرف.

بل في كتب التفسير واللغة ما يثبت أن هذه الكلمة معروفة عند عامة العرب، ولا يختص بها قوم من اليمن(١٣١)، قال ابن فارس: «الطاء والحاء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على البسط والمدِّ، من ذلك الطَّحْو وهو كالدَّحْو، وهو البَسْط، قال الله تعالى: (وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) ، أي بَسَطها، وقال تعالى في موضع آخر: (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحَاهَا)»(١٣٢).

والفعل من الطحو هو: طحا، وهو واوي ويائي، طحى يطحى طحيًا وطحوًا(١٣٣). والله أعلم.

الخاتمة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

١-أن الحكم بن عمر الرعيني تابعي صغير من أعيان أهل الشام، ومن أصحاب عمر بن عبدالعزيز، وقد اختاره خالد القسري لحمل بعض الأسئلة القرآنية إلى قتادة.

٢-شهرة قتادة بالتفسير بين أهل زمانه حتى إن الأمراء كانوا يرسلون إليه أسئلتهم عما يشكل عليهم من القرآن الكريم ومن أشعار العرب.

٣-القراءة المنسوبة لقتادة: (فأقيلوا أنفسكم) في قوله تعالى (فاقتلوا أنفسكم) لم تثبت عنه وإن نقلها المفسرون، بل جاء التفسير المروي عنه على خلافها.

٤-قد ترد عن قتادة أكثر من رواية في بعض حروف القرآن مثل (رَوح) و (رُوح)، حيث قرأ بهما معا.

٥-براءة قتادة مما نسب إليه من القول بالقدر.

٦-تفرد قتادة بالقول بأن (الطحو) لغة من لغات أهل اليمن.

وبالوقوف على ما في هذه المسائل فإنني أنصح بتتبع روايات قتادة من مظانها، إذ أنها لا تخلو من فوائد، فإن قتادة من أكثر التابعين تفسيرًا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملحق: صورة ضبط القراءة (بارئكم) بالإسكان

صورة ضبط قراءة (روح الله):

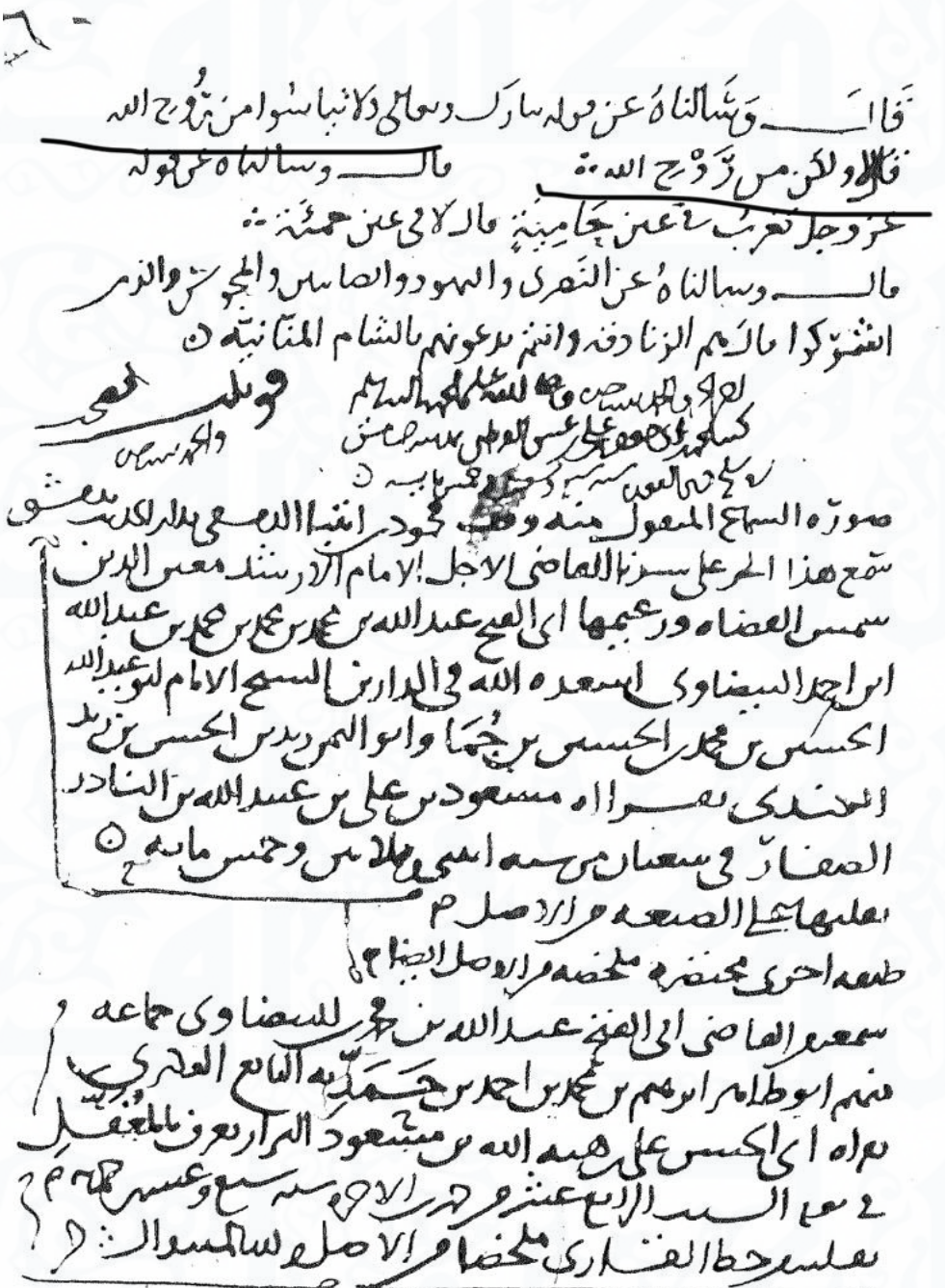

هوامش البحث

(١) وقد طبعت أكثر من مرة، مرة باسم: سؤالات نافع بن الأزرق، للدكتور إبراهيم السامرائي، نشرته مطبعة المعارف بغداد، سنة ١٩٦٨، وهو مستل من مجلة رسالة الإسلام، العددان الخامس والسادس، السنة الثانية، ومرة باسم: مسائل نافع بن الأزرق عن عبدالله بن عباس، تحقيق: د.محمد أحمد الدالي، عن دار الجفان والجوابي سنة ١٤١٣هـ.

(٢) ميزان الاعتدال ٥٧٨/١، لسان الميزان ٢٤٩/٣.

(٣) الضعفاء للنسائي ص٣٠، تاريخ أسماء الضعفاء لابن شاهين ص٧٥.

(٤) الجرح والتعديل ١٢٣/٣.

(٥) تاريخ دمشق٣٢/١٥، وذلك لأنه بدأ به، وعبر عن الثاني بقوله: قيل..

(٦) جزء خالد بن مرداس، ق ٥.

(٧) الأنساب للسمعاني ١٤٣/٦.

(٨) تاريخ دمشق ٣٢/١٥.

(٩) ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢/١٥.

(١٠) الشامات: جمع الشام، ويريد بها مختلف قصبات الشام.

(١١) طبقات خليفة بن خياط ٥٨١.

(١٢) تاريخ دمشق ٣٦/١٥.

(١٣) بغية الطلب ٢٨٦٢/٦.

(١٤) بغية الطلب ٢٨٦٢/٦.

(١٥) تاريخ دمشق٣٢/١٥، وقال: ووفد على عمر بن عبدالعزيز ثم سكن بغداد و لم يذكره الخطيب.

(١٦) أثبت البخاري له رؤيته في التاريخ الكبير ٣٣٥/٢.

(١٧) ذكره في الرواة عنه الصفدي في الوافي بالوفيات ٧٩/١٣.

(١٨) لم يحددوا وفاته، ويمكن توقع أنها نحو بضع ومائة، وذلك من خلال الطبقة التي ذكر فيها في سير أعلام النبلاء ٤٧٢/٩.

(١٩) تاريخ دمشق ٣٢/١٥.

(٢٠) تاريخ الإسلام ٦٠٥/٤.

(٢١) ميزان الاعتدال ٥٧٨/١، لسان الميزان ٢٤٩/٣.

(٢٢) الكامل لابن عدي ٤٨٨/٢.

(٢٣) الجرح والتعديل ١٢٣/٣.

(٢٤) تاريخ الإسلام ٦٠٥/٤.

(٢٥) كتاب الثقات ١٤٦/٤.

(٢٦) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ٤٨٤/٣.

(٢٧) سير أعلام النبلاء ٢٧٠/٥.

(٢٨) تهذيب الكمال ٥١١/٢٣.

(٢٩) ما بين القوسين من سير أعلام النبلاء ٢٧٧/٥.

(٣٠) تهذيب الكمال ٥٠٦/٢٣.

(٣١) المصدر السابق ٥٠٦/٢٣.

(٣٢) المصدر السابق ٥٠٦/٢٣.

(٣٣) تهذيب الكمال ٥١٧/٢٣، سير أعلام النبلاء ٢٨٢/٥.

(٣٤) سير أعلام النبلاء ٤٢٥/٥.

(٣٥) سير أعلام النبلاء ٤٣٢/٥.

(٣٦) تاريخ دمشق ٣٢/١٥، بغية الطلب ٢٨٦٢/٦.

(٣٧) هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن زياد، أبو سهل القطان، توفي سنة ٣٥٠، وهو صدوق (سير أعلام النبلاء ٥٢١/١٥).

(٣٨) هو عبدالله بن روح المدائني، توفي سنة ٢٧٧، ثقة، قال الدارقطني: ليس به باس (سير أعلام النبلاء ٥/١٣).

(٣٩) هو شبابة بن سوار الفزاري، أبو عمرو المدائني، توفي سنة ٢٠٦، وهو ثقة من رجال التهذيب (تهذيب التهذيب ٣٠٠/٤).

(٤٠) هو عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان أبو القاسم البغوي، وصفه الذهب وغيره بأنه مسند الدنيا، توفي سنة ٣١٧ (سير أعلام النبلاء ٤٤٠/١٤).

(٤١) هو خالد بن المرداس البغدادي، توفي سنة ٢٣١، وهو ثقة (تاريخ الإسلام ٨١٦/٥).

(٤٢) تاريخ دمشق ٣٢/١٥.

(٤٣) بغية الطلب ٢٨٦٢/٦

(٤٤) حديث خالد بن مرداس من ق٥/ إلى آخر المخطوط.

(٤٥) انظر بيان ذلك في التفسير والمفسرون للذهبي ١١٩/١، حيث قال: ثم إن هذا التفسير الموضوع، لو نظرنا إليه من ناحيته الذاتية بصرف النظر عن ناحيته الإسنادية، لوجدنا أنه لا يخلو من قيمته العلمية، لأنه مهما كثر الوضع فى التفسير فإن الوضع ينصب على الرواية نفسها، أما التفسير في حد ذاته فليس دائماً أمراً خيالياً بعيداً عن الآية، وإنما هو – فى كثير من الأحيان – نتيجة اجتهاد علمى له قيمته أهـ مع أن الحكم لم يتهم.

(٤٦) الاستيعاب ١١٠٧/٣، الإصابة ٤٦٧/٤.

(٤٧) ايجاز البيان ٩٥/١، باهر البرهان ٨١/١.

(٤٨) تاريخ دمشق ٣٢/١٥.

(٤٩) هكذا بدون نقط.

(٥٠) حديث خالد بن مرداس ق٧.

(٥١) وهي النسخة المطبوعة باسم: ايجاز البيان ٩٥/١، تحقيق حنيف القاسمي .

(٥٢) تاريخ دمشق ٣٣/١٥، مختصر تاريخ دمشق ٤٧٠/٢.

(٥٣) الكشف والبيان ١٩٨/١.

(٥٤) وهي النسخة المطبوعة باسم باهر البرهان ٨١/١، بتحقيق سعاد بابقي: إنما هو فاقتالوا.

(٥٥) المحرر الوجيز ١٤٦/١.

(٥٦) المحتسب لابن جني ٨٣/١، ويغلب أن يكون هذا النص من كتاب الشواذ لابن مجاهد وهو مفقود.

(٥٧) البحر المحيط ٣٣٧/١.

(٥٨) المحتسب ٨٣/١.

(٥٩) معالم التنزيل ١١٨/١.

(٦٠) جامع البيان ٧٢/٢، الجامع لأحكام القرآن ٤٠١/١.

(٦١) تأويلات أهل السنة ٤٦٣/١.

(٦٢) مفاتيح الغيب ٥١٦/٣.

(٦٣) الكشف والبيان ١٩٨/١.

(٦٤) الكشف والبيان١٩٨/١.

(٦٥) البحر المحيط ٣٣٧/١.

(٦٦) المحتسب ٨٣/١.

(٦٧) هكذا في المحتسب، ونقله أبو حيان في البحر ٣٣٧/١، بلفظ: ويضعف..

(٦٨) المحتسب ٨٣/١.

(٦٩) المحتسب ٨٤/١.

(٧٠) المحرر الوجيز ١٤٦/١، الجامع لأحكام القرآن ٤٠٢/١.

(٧١) رواه ابن جرير في جامع البيان ٧٦/٢.

(٧٢) رواه ابن أبي حاتم في التفسير ١١٠/١.

(٧٣) باهر البرهان ٨٢/١

(٧٤) سير أعلام النبلاء ٢٧٨/٥.

(٧٥) النشر ٢١٣/٢، الوافي شرح الشاطبية ٢٠٢، البدور الزاهرة ٣٢.

(٧٦) النشر ٢١٣/٢.

(٧٧) جامع البيان في القراءات السبع ٨٦٢/٢. وكذلك فعل الفارسي في الحجة ٧٦/٢.

(٧٨) انظر ملحق الصور في بيان ضبط قراءة قتادة من المخطوط.

(٧٩) الدر المنثور ٢٠٤/٨ ط هجر، والمصدر الذي نقل عنه – وهو تفسير أبي الشيخ- من المصادر المفقودة.

(٨٠) تاج العروس ٦١/٢١، مادة: رتع، وانظر تفسير ابن عطية ٢٢٤/٣، البحر المحيط ٢٤٥/٦.

(٨١) الدر المصون ٤٤٩/٦.

(٨٢) وذلك من غير طريق الشاطبية، وإن كان الشاطبي قد ذكره (البدور الزاهرة ١٦١).

(٨٣) النشر في القراءات العشر ٢٩٣/٢.

(٨٤) مفردات غريب القرآن ص٣٤١، وعنه في تاج العروس ٥٩/٢١، مادة: رتع.

(٨٥) مفردات غريب القرآن ص٣٤١.

(٨٦) انظر الحجة للقراء السبعة ٤٠٣/٤.

(٨٧) جامع البيان ٥٧٠/١٥.

(٨٨) جامع البيان ٥٧٠/١٥.

(٨٩) إعراب القرآن للنحاس ١٩٤/٢.

(٩٠) البحر المحيط ٢٤٥/٦.

(٩١) المحتسب ٣٣٣/١.

(٩٢) تاريخ دمشق ٣٢/١٥، هكذا ضبطه في المطبوع.

(٩٣) انظر الصورة الثانية من ملحق الصور.

(٩٤) المحتسب ٣٤٨/١، الكشاف ٥٠٠/٢.

(٩٥) الكامل في القراءات ص٢٦٨.

(٩٦) جامع البيان ٢٣٣/١٦، تفسير ابن أبي حاتم (٢١٩٠/٧).

(٩٧) الحجة للفارسي ٣٤٨/١.

(٩٨) المحرر الوجيز ٢٧٤/٣.

(٩٩) الكشاف ٥٠٠/٢.

(١٠٠) إتحاف فضلاء البشر ٥٣١.

(١٠١) تاريخ دمشق ٣٢/١٥

(١٠٢) حديث خالد بن مرداس ق٧.

(١٠٣) النشر ٣١٤/٢.

(١٠٤) الكامل ص٣٩١.

(١٠٥) جامع البيان ٩٦/١٨، الكشف والبيان ١٩١/٦.

(١٠٦) جامع البيان ٩٦/١٨.

(١٠٧) جامع البيان ٩٧/١٨.

(١٠٨) الكشاف ٧٤٤/٢.

(١٠٩) الحيرة هي النجف، كما في معجم البلدان (٣٢٨/٢).

(١١٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧٧٤/٤ (١٢٩٧).

(١١١) القضاء والقدر ص٣٢٢ (٥٥٠).

(١١٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧٧٤/٤ (١٢٩٧).

(١١٣) تاريخ دمشق ٣٢/١٥ من طريق البيهقي.

(١١٤) حديث خالد بن مرداس ق ٧.

(١١٥) انظر كتاب القدر للفريابي ص٢٢٤، وفيه: عن الحجاج بن دينار، عن منصور بن المعتمر، قال: ما أهلك الله أهل دين حتى تخلف فيهم المنانية، قلت: وما المنانية؟، قال: الزنادقة أهـــ.

وأصل المنانية: أنهم أصحاب ماني بن فاتك الذي ظهر في عهد سابور بن أزدشير. وضع دينا بين المجوسية والنصرانية، وزعم أن العالم مركب من أصلين قديمين نور وظلمة. الأول مصدر الخير، والثاني مصدر الشر(الملل والنحل: ٧٢/٢، الإبانة لابن بطة ٣٨٠/١).

(١١٦) رواه أحمد (٢٣٤٥٦)، وأبو داود (٤٦٩١) وابن ماجه (٩٢)، واختلاف العلماء فيه كبير، انظر: فيض القدير ٥٣٤/٤. وضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند (٤١٥/٩) لكن صحح الدارقطني وقفه على ابن عمر (العلل٩٨/٤).

(١١٧) فيض القدير ٥٣٤/٤.

(١١٨) سير أعلام النبلاء ٢٧١/٥.

(١١٩) سير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥.

(١٢٠) سير أعلام النبلاء ٢٧٧/٥.

(١٢١) جامع البيان ٦٠٨/٢٢.

(١٢٢) جامع البيان ٥٨٥/١٨، انظر الدر المنثور ١٥/٦.

(١٢٣) تاريخ دمشق ٣٢/١٥

(١٢٤) حديث خالد بن مرداس ق٦، وهو أول سؤال فيه.

(١٢٥) وهو طريق ضعيف كما لا يخفى، رواه ابن جرير في جامع البيان ٤٥٣/٢٤.

(١٢٦) رواه عنهما ابن جرير ٤٥٤/٢٤.

(١٢٧) مجاز القرآن ٢٠٠/٢.

(١٢٨) الجامع لأحكام القرآن ٧٤/٢٠.

(١٢٩) تفسير ابن كثير ٤١١/٨.

(١٣٠) وهذا إسناد ، رواه ابن جرير ٤٥٤/٢٤، وانظر إعراب القرآن للنحاس ١٤٦/٥.

(١٣١) مفردات غريب القرآن ٥١٧.

(١٣٢) معجم مقاييس اللغة ٣٤٨/٣.

(١٣٣) تاج العروس ٤٨٤/٣٨، مادة: طحو.

المصادر والمراجع:

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله النمري، تحقيق علي البجاوي، دارا لجيل بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.
- إعراب القرآن، النحاس، أحمد بن محمد المصري، تحقيق عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيرروت، ط١، ١٤٢١ هـ.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدمياطي، أحمد بن البنا الدمياطي، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٧ هـ.
- إيجاز البيان عن معاني القرآن، بيان الحق، محمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق دحنيف القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، بيان الحق، محمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق سعاد بابقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.
- البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي، محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، د ط، ١٤٢٠هـ.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، الكمال لابن العديم، عمر بن أحمد الحلبي، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، سوريا، د ط.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر، علي بن الحسن الدمشقي الحافظ، تحقيق عمرو بن غرامة، دار الفكر ، سوريا، ط١ ١٤١٥هـ.
- التاريخ الكبير، البخاري، محمد بن إسماعيل، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند. د ت.
- التفسير والمفسرون، الذهبي، محمد بن حسين، مكتبة وهبة، القاهرة.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، تحقيق محمد حسين شمس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، يوسف بن عبدالرحمن المزي، تحقيق د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

- جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم طفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.
- الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد الرازي، تحقيق المعلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٢.
- جزء من حديث أبي الهيثم خالد بن مرداس السراج، تخريج أبي القاسم البغوي، مخطوط، دار الكتب الأهلية، د ط.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط٣، ١٤٠٥هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، هبة الله بن الحسن الطبري، تحقيق أحمد الغامدي، دار طيبة، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ.
- الطبقات، خليفة، خليفة بن خياط العصفري، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤١٤.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، محمد عبدالرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦.
- القضاء والقدر، البيهقي، أحمد بن الحسين الخسروجردي، تحقيق محمد آل عامر، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ.
- الكامل في القراءات الأربعين، الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة الهذلي، تحقيق جمال الشايب، مؤسسة سما للتوزيع، د ط.
- الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، أبو أحمد بن عدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨.
- كتاب القدر، الفريابي، جعفر بن محمد، تحقيق عبدالله المنصور، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- لسان الميزان، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، تحقيق فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، عثمان بن جني الموصلي، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٤٢٠هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبدالحق بن غالب الأندلسي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس النيسابوري، تحقيق عبدالسلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، ط١، ١٤٢٣هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بـــيروت، ط١، ١٣٨٢هـــ.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الجزري، تحقيق علي الضباع، تصوير دار الكتاب العلمية، بيروت، د ت.